من قضايا الشعر الواقعي في السودان

د. الضو إبراهيم الضو أحمد

أستاذ مشارك – جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

كلية اللغة العربية – فرع الأبيض

2025م

مجلة دراسات العلوم الاسلامية

من قضايا الشعر الواقعي في السودان

د. الضو إبراهيم الضو أحمد

أستاذ مشارك – جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية–كلية اللغة العربية – فرع الأبيض

مستخلص:

هذه الدراسة عن قضايا الشعر الواقعي في السوداني، هدفت للتعريف بأهم هذه القضايا التي تناولها شعراء التيار الواقعي، واتبعت الدراسة المنهج الوصفي الاستقرائي، معتمدة في مادتها علي ما كتب من شعر واقعي إضافة لدواوين الشعراء مع استصحاب الظروف التي أوجدته، وخلصت الدراسة إلي نتائج منها، أن الظروف كانت ساعدت على تناول الشعراء لهذه القضايا، فقد تأثر شعراء الواقعية بقراءاتهم واتصالهم بالثقافات الأخرى، وأن الشعراء قد عبروا بصدق عن الواقع خاصة شعراء الواقعية الاشتراكية، وطرق أولئك الشعراء مواضيع لم يتناولها من سبقهم مثال ذلك قضية الهوية، وتوصي الدراسة بضرورة تناول الشعر الواقعي من كل جوانبه ، ثم تناول أعلام الواقعية في الشعر السوداني .

Abstract:

This study dealt with the realistic trends of the Sudanese poetry . It aimed to define this trend , its poets , the reasons of its blossoming , that it is considered one of the artistic trends which was existed in the sudanese art history . in this study I used descriptive , extrapolate method . it depends on material that was written in the trend besides the collections poets with circumstances that made it . the study resulted that the circumstances was suitable to construct that trend , the poets of that trend affected by the realistic trend as result of their contract with other cultures . the poets truly expressed the reality , in particular the poets of socialism reality . those poets dealt with topics which were not used by their formers , such as the identity case . the study recommends necessarily the poets of that trend to take and analyze their poems to know the extent of their commitment of this trend.

مقدمة:

تطورت فكرة الأدب القومي التي نادي بها طمبل حيث تطور هذا المفهوم إلي مرتكز فكري وفلسفي عند الشعراء في الخمسينات والستينات وكان الرائد في ذلك محمد المهدي المجذوب الذي كسر الحاجز النفسي في قصيدته:(فليتني في الزنوج ولي رباب)، ثم قصيدته (المولد) .

ثم شهدت فترة الخمسينات والستينات الصراع بين القديم والجديد بين المدرسة التقليدية والمدرسة الحديثة، فكان السياب في العراق ، و صلاح عبد الصبور في مصر والفيتوري في السودان.

أما الستينات خاصة فكانت حقبة العناوين الكبيرة كالهوية(الغابة والصحراء) والشعر الصعب المعقد والمتحذلق الذي يشف عن الثقافة العميقة للشاعر والناقد في آن واحد.

وقد تأثرت الحركة الأدبية في السودان في الفترة من 1959م – 1970م بالأدب السياسي العربي والعالمي مما ساعد في توطين السياسة في الأدب السوداني المعاصر، إضافة إلى النفوذ الواسع للماركسية، وذلك من خلال مثقفي الحزب الشيوعي الذين نادوا في أدبهم بالواقعية الاشتراكية التي تخدم المجتمع وقضاياه[1].

وانتشر شعر التفعيلة في هذه الفترة، وهو الشعر الذي ارتبط بقضايا الشعوب ومصائرها، لأن هذا اللون من الشعر ظهر إبان وقوع العالم العربي تحت الحكم الأجنبي المستعمر فتهافت عليه الشعراء والقراء، حيث كانت موضوعات النضال الوطني أشد لصوقاً بنفوس العرب من غيرها، فقد توافق ظهور التفعيلة مع استعار الوطنية والسعي إلي نشر الحرية في نفوس العرب[2] .

وشعراء الواقعية هم من رسخ دعائم الشعر الحديث (شعر التفعيلة) وهم الجيل الذي أتي بعد رواد التقليدية، وقد دعا أولئك إلي تحديث الشعر لأن الحداثة عندهم هي دعوة للاتصال مع

العالم وتطوير الموروث وانفتاح علي القضايا الإقليمية والدولية ولا يتأتى ذلك إلا بعد أن يتجدد الشاعر وعياً وثقافة ونظرة إلى الحياة والعالم.

قسمت الورقة إلى ثلاثة في المبحث الأول عن الواقعية من حيث المفهوم والنشأة والأنواع ، وأما المبحث الثاني فقد تناول الواقعية في الشعر السوداني ، ثم المبحث الأخير وفيه كانت أهم القضايا التي نظم فيها شعراء الواقعية .

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي والتحليلي ، ثم جاءت الخاتمة وفيها أهم النتائج .

المبحث الأول

الواقعية: المفهوم والنشأة

الواقعية الأدبية هي كل ما يمتاز به الأدب من تصور دقيق للطبيعة والإنسان مع العناية الكبيرة بالتفاصيل المشتركة للحياة اليومية وتعني الواقعية فيما تعني عند بعض الأدباء أنها الأدب الذي يقوم علي ملاحظة الواقع وتسجيله، وهي أدب لا يعتمد علي صور الخيال، وهو عند بعضهم الأدب الذي يعتمد في مادته و موضوعاته علي ما يوجد في حياة الشعب أي واقعه الذي يعيشه، وهو أدب موضوعي مرتبط بحياة الشعوب، ويسعى إلي تصوير الواقع وكشف أسراره، وإظهار خفاياه وتفسيره، ولكن ليس كالتصوير الفوتغرافي، وإنما تهدف الواقعية إلي فهم الحياة علي النحو الذي تراه[3].

والواقعية لم تظهر في سماء الأدب الأوربي إلا في منتصف القرن التاسع عشر أي بعد الرومانسية، وقد ظهرت في سلسلة من الأعمال الروائية البارزة التي قدمها كتاب كبار، أمثال: ميريميه (1803م-1870م) الذي أغدق علي كتاباته مسحة رومانسية من حيث اختيار موضوعاته[4]. لكن الكاتب الذي يعتبر بحق أبا الواقعية في فرنسا، وربما خلال القرن التاسع عشر كله، هو (بلزاك)(1779م-1850م) الذي كتب بأسلوبه المميز بالغرابة والتعقيد والتشويش، فقد ألف أكثر من تسعين رواية، يصف فيها المجتمع الفرنسي بمختلف الأساليب الفكرية مابين تحليل ونقد وعرض ودراسة[5].

---

[1]- أصول الشعر السوداني، ، عبد الهادي الصديق ، 1994م دار جامعة الخرطوم، ط2، ص23 .

[2]- جريدة الصحافة د. سعد عبد القادر العاقب ، العدد 547 ، 2008/9/16م ، ص8.

[3]- في تاريخ الأدب العربي ، محمد أحمد ربيع، 2006، دار الفكر ، ط12،ص65

[4]- المرجع نفسه، ص65

[5]- المرجع نفسه، ص96

اتجه الأدب إلي الواقعية عندما انفتحت عيون الأدباء على أحوال المجتمع ورأوا مافيه من قضايا اجتماعية واقتصادية وسياسية،وراحَ نظماً ونثراً يكشف عن نواحي النقص في المجتمع ويعالجها بما يراه خيراً للناس عامة، فخرج عن إطار التزلف إلي ذوي النفوذ والسلطان كما كان قديماً.

أما الممثلون الحقيقيون لهذا التيار الواقعي في فرنسا؛ فهم جوستاف فلوبير وموبسان من الأدباء، وهيوبلت تين، وأوغست كونت من النقاد.

قال حنا الفاخوري عن المذهب الواقعي: استمرت الرومنطيقية مسيطرة حتى نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر، وقد تلتها الواقعية التي تتعلق بدنيا الواقع، وتصرف عن الاستغراق في الأحلام والتحليق في أجواء الخيال، إنها ثمرة الروح العلمية التي سيطرت إذ ذاك، فراح الواقعيون يتلمسون الحقيقة في الواقع الملموس، وما يمكن الوصول إليه عن طريق التجربة، وقد امتاز مذهبهم بالصراحة والجرأة في معالجة قضايا الواقع، ولا يلجأ إلي التمويه والمداراة أو اللين والتخفيف، إنه مذهب الواقع بكل ما في الكلمة من معنى[1] .

مفهوم الواقعية:

ظهر مذهب الواقعية في الشعر ليخلف المذهب الرومانتيكي في وقت كان مذهب البرناسية يحاول القيام بالدور نفسه، ويسمونها أحياناً الواقعية الطبيعية، أو الواقعية الأوربية تمييزاً لها عن الواقعية الاشتراكية التي ظهرت في الفكر الاشتراكي[2].

كان مفهوم الواقعية الطبيعية، أو الواقعية الأروبية يعني في البدء المحاكاة الدقيقة للتفاصيل المستمدة من الواقع. بحيث تعطي انطباعاً بالواقعة أو صدق التصوير[3] إلا أن التمسك بهذا المفهوم لم يدم طويلاً، فقد بدأ بعض الواقعيين الأوربيين و الأمريكان يبلورون مفهوماً آخر لمصطلح الواقعية، حين يرون أن بلوغ الواقعية لا يتم بالمحاكاة، بل بالخلق الذي يلعب فيه خيال الشاعر دوراً أساساً لأنه في الشعر يجب ألا ينفصل الخيال عن الواقع، فالواقعية بهذا المفهوم ليست عملية تصوير أمين للواقع ، أو تمثل للحياة وإنما هي شيء يخلق[4].

أنواع الواقعية:

الواقعية من حيث نظرتها للحياة ومعالجتها لقضايا الناس في الأدب، ثلاثة أنواع:

1- الواقعية التسجيلية: وهي التي تهتم بتسجيل الواقع بخيره وشره،دون تمييز أحدهما علي الأخر، وهدفها تعريف الإنسان بمشاكل الحياة، أو بما يقع في المجتمع ، وعلي الإنسان بما أعطي من عقل وحس أن يتجه إلي الخير ويبتعد عن الشر.

2- الواقعية التشاؤمية: وهي التي تري الحياة في أصلها شراً ووبالاً ومحنة، بينما تراها المثالية خيراً وسعادة ونعمة.

3- الواقعية الاشتراكية: وهي التي تهتم بمشاكل الناس في المجتمع ، وتسلط الأضواء عليها وتعمل جاهدة علي حلها، ومن أكبر كتابها: سيمونوف. وتعتبر الواقعية الاشتراكية أحدث وجوه الواقعية ، وقد ظهر هذا المصطلح سنة م1934 في روسيا وقد عرفت الواقعية الاشتراكية في الأدب، علي أنه وجوب أن يتعامل هذا الأدب مع قضية الصراع الطبقي، علي أن يتبنى دائماً صوت الطبقة العاملة فيه، وأن يكون الكاتب نفسه من أبناء هذه الطبقة، وأن أبيات الشاعر هي الأدوات التي تغير من شكل العالم، وأنه لا يتغنى بها فحسب وإنما يطرق ويصوغ ويغني[5].

---

[1]- الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم) الفاخوري ، حنا ، دار الجيل بيروت، ب ت ، ط3،ص32

[2]- تيارات الشعر العربي في السودان ، محمد مصطفى هدارة ، دار الثقافة – بيروت لبنان، 1972م ، ص52 .

[3]- مفاهيم نقدية، رينيه ويلبك، ترجمة الدكتورمحمد عصفور، عالم المعرفة1987م، ص186

[4]- الواقعية ، ديمير كرانت، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة، دار الرشيد، بغداد ب ت ،ص72

[5]- منهج الواقعية في الإبداع الأدبي فضل ، صلاح ، دار الأوقاف ، بيروت، ب ت،ص21

– الواقعية الاشتراكية في أدبها تغلب عامل الخير والثقة بالإنسان وقدرته وتتخذ مضمونها من حياة عامة الشعب ومشاكله، وروحها روح متفائلة تؤمن بايجابية الإنسان وقدرته علي أن يأتي بالخير وأن يضحي في سبيله بكل شئ من غير يأس.

– تحول الأدب العربي إلي الواقعية الاشتراكية بعد الحرب العالمية الثانية تلك الحرب التي تعتبر نقطة تحول في نواح عديدة في الحياة الاجتماعية والسياسية للعرب فبدأت في مصر والعراق المناداةً بالتغيير(ففي سنوات الحرب أخذ الشباب المثقف يهتمون بالفلسفة الماركسية، كما زاد وعي الكتاب برسالتهم الاجتماعية والسياسية، ليأسهم من الأحزاب السياسية، وسخطهم علي فساد الحياة العامة وانتشار الفقر، فوجد بعضهم في الشيوعية حلاً ممكناً لهذه المشاكل[1].

– فازدهرت الواقعية بعد أفول نجم الرومانسية التي يعدها بعضهم هروباً من الواقع ، وهي أدب البرج العاجي، فالواقع العربي كانت تمثله الأحزاب الضعيفة والمتصارعة بينما برزت قضية فلسطين، وزاد وعي الشعوب، وقامت ثورات كان للماركسية أثرها الواضح فيها،مثل ثورة يوليو في مصر، وتعتبر الخمسينات سنوات الصعود الواقعي . وقد ازدهرت الكتابة الواقعية مقترنة بنزوع اشتراكي وليد علي نحو أشاع أفكار الاشتراكية التي اقترنت بمواقف قومية تقدمية[2].

من الشعراء العرب الذين برزوا في الاتجاه الواقعي، صلاح عبد الصبور والسيّاب ، وغيرهما وهو اتجاه واقعي اشتراكي، رأي معتنقوه أن الاتحاد السوفيتي هو الحليف الأول لكل قوى التحرر الوطني في العالم الثالث، والمصدر الذي يستمد من فكرة المنظرون الأدبيون أفكارهم عن الواقعية الاشتراكية التي انتشرت فيها الدعوة للاشتراكية[3].

المبحث الثاني

الواقعية في الشعر السوداني :

تظهر بدايات التيارر الواقعي في الشعر السوداني خلال الدعوة إلى أدب قومي يعبر عن واقع السودانيين وآمالهم وتطلعاتهم ، وقد ظهر هذا الاتجاه بوضوح في أشعار الشعراء حمزة الملك طمبل ، ومحمد أحمد محجوب ويوسف مصطفى التني وهولاء تشربوا بالثقافة الإنجليزية.

قال الدكتور عبد الهادي الصديق في كتابه اتجاهات الشعر السوداني المعاصر : فقد سجلت المسافة مابين آواخر الأربعينيات واوائل الخمسينيات عهداً جديداً فكانت اجتماعيات المجذوب وواقعيات الناصر قريب الله مقدمة طبيعية لأشعار تاج السر الحسن وجيلي عبد الرحمن ومحي الدين فارس وصلاح أحمد إبراهيم وما تلاهم من شعراء الاتجاه الواقعي[4] .

وعن الشعر الواقعي في السودان قال الدكتور عبده بدوي: لما كانوا قد تخطوا مرحلة البحث عن الجذور ومرحلة تحقيق الذات يقصد الشعراء السودانيين — كان من الضروري أن ينظروا إلى أشياء كثيرة خلفهم في غضب ، كان من الطبيعي أن يتجاوزوا مرحلة (الوطن العاطفي) إلى مرحلة (الوطن الواقعي) فالأحداث كانت تلاحقهم ، والزمن كان من حولهم يعدو عدواً سريعاً ، ومن ثم رأينا بعضهم يقوم بهجوم مكثف على الأدب التقليدي .

كانت الخمسينات مسرحاً لكثير من التغيرات التي انتظمت العالم العربي شرقه وغربه ففيها برزت حركات التحرر، والدعوة إلي نهضة عربية تزيح عن كاهل الوطن مظاهر التخلف والفقر، وشاعت فيه الدعوة إلي الماركسية بوصفها المنقذ من ذلك الوضع المتردي، والدعوة إلي الواقعية التي تصور واقع المجتمع وما يعانيه من فاقة وفقر، فالأدب الواقعي أدب ملتزم.

---

[1]– الشعر في السودان ، عبده بدوي ، المجلس القومي ، للثقافة والأدب والفنون 1986م ، ص21.

[2]– مجلة العربي — العدد541 ديسمبر2003م ، ص76

[3]– مجلة العربي — العدد 590– يناير 2008م ، ص77

[4]– اتجاهات الشعر السودانيالمعاصر ، عبد الهادي الصديق ، دار جامعة الخرطوم ، ط1، مارس 1995م ، ص18 .

شهدت الخمسينات حركات سياسية واجتماعية وثقافية في العالم العربي ، وفي السودان اندلعت حرب الجنوب، وعقد مؤتمر جوبا الذي طالب بالاتحاد الفدرالي مع الشمال،وفيها نال السودان استقلاله، كل تلك الأحداث أثرت علي الأدب في السودان وبخاصة الشعر، وامتد ذلك الأثر إلي حقبة الستينات. وقد أخذ بالواقعية من شعراء السودان، المجذوب والناصر قريب الله و تاج السر الحسن وجيلي عبد الرحمن، ومحي الدين فارس، وصلاح أحمد إبراهيم، ومن هؤلاء من أخذ بالواقعية الاشتراكية مثال تاج السر الحسن وجيلي عبد الرحمن وقد تعلما في موسكو ، وعاشوا ومعهم محي الدين فارس فترة من حياتهم في مصر، وهؤلاء قد انفعلوا بالأحداث الوطنية والإقليمية والدولية، وتفاعلوا معها شعورياً فظهر ذلك في أشعارهم التي تميزت بالسلاسة والإيقاع.

– ظهرت في أوائل الخمسينات أشعار كانت منها(اجتماعيات المجذوب، وواقعيات الناصر قريب الله، فكانت مقدمة طبيعية لأشعار تاج السر الحسن وجيلي عبد الرحمن ومحي الدين فارس، وصلاح أحمد إبراهيم، وما تلاهم من شعراء الاتجاه الواقعي)[1].

أهم أسباب نشأة الواقعية في السودان:

1- تخلف الأدب عن مجاراة الأحداث والتعبير عنها.

2- أحداث الوطن في الخمسينيات وتقاعس السياسيين وخلافاتهم.

3- ظهور المد الاشتراكي والواقعية الاشتراكية في العالم العربي.

4- ظهور حركات التحرر في أفريقيا والعالم.

5- الأوضاع السيئة للمواطن التي تمثلت في الفقر والتخلف.

قال الدكتور عبده بدوي:(لما كانوا قد تخطوا مرحلة البحث عن الجذور، ومرحلة تحقيق الذات يقصد الشعراء السودانيين –كان من الضروري أن ينظروا إلي أشياء كثيرة خلفهم في غضب،وكان من الطبيعي أن يتجاوزوا مرحلة الوطن العاطفي إلي مرحلة الوطن الواقعي ، والأحداث كانت تلاحقهم، والزمن من حولهم كان يعدو عدواً سريعاً، من ثم رأينا بعضهم يقوم بهجوم مكثف علي الأدب التقليدي باعتباره أدب استرزاق ومناسبات وجهارة ومماألأة، وفي الوقت نفسه سخروا من هذا التماوت الرومانسي، والإسراف العاطفي، ولقد كانوا في هذا واقعيين مع أنفسهم فلقد كان الوطن ممزقاً، والسياسيون يتلاعبون بمصائر الناس، والأدباء إما راضون عن الواقع أو هاربون منه[2] .

إن الهجوم علي القديم ورفضه دعوة عمت العالم العربي في ذلك الوقت فالتيارات الأدبية الحديثة كان لها مناصرون وأتباع في السودان حيث تأثرت الحركة الأدبية في السودان بالأدب السياسي العربي والعالمي مما ساعد في توطين السياسة في الأدب السوداني المعاصر إضافة إلي النفوذ الواسع للماركسية، وذلك من خلال مثقفي الحزب الشيوعي الذين نادوا في أدبهم بالواقعية الاشتراكية التي تخدم الأدب وقضاياه فقد نادي أولئك الأدباء بتبني التعبير عن الوجدان الجماعي، وأن يصبح الشعر موضوعياً بدلاً من أن يظل عواطف فردية محصورة في ذات الشاعر وخواطره، وكان لابد من أن تؤثر هذه النظرة للأدب في نفوس الشعراء فترجموا ذلك إلي قصائد تشوبها روح السياسة والثورة، والارتباط بقضايا الشعب.

أضاف الدكتور عبده بدوي أسباباً أخرى لظهور التيار الواقعي في السودان بعد انحسار تيار الوجدان، وانصراف الشعراء للتعبير عن الواقع التعيس الذي يعيشه الوطن مما بعث فيهم إحساساً جديداًولقد نمى هذا الإحساس ظهور الأساليب الواقعية في مصر بصفة خاصة، ومن وراء مصر كان العالم يدوي بالحديث عن الاتجاهات الاشتراكية وعن الاتجاهات الموضوعية، هذا بالإضافة إلي

[1]–اتجاهات الشعر السودانيالمعاصر ، عبد الهادي الصديق ،ص18

[2]– الشعر في السودان ، عبده بدوي، ص191

انتهاء الحرب العالمية الثانية، ورغبة الشعوب والطبقات في التحرر، وتداعي الأنظمة القديمة وظهور دور الكتلة الشرقية قد ساعد على دخول دنيا الواقع والمعقول)[1].

لم يكن الشعراء وحدهم من رفض الواقع المزري للمجتمع، فقد شاركهم في هذا الرفض عامة الشعب ، ولأن الشاعر ضمير الأمة، والمتحدث بلسانها والمصور لأحوالها فقد عبر الشعراء عن ذلك الواقع(فقد أصبح واضحاً أن الشعب السوداني صار في حاجة لمن يصف واقع حياته ويسطر تجاربه الصادقة ويجيد التعبير عن روحه المتميزة ويتقن تحليل شخصيات أهله وميولهم وأذواقهم وأمزجتهم)[2]، وقد انفعل شعراء الواقعية في السودان بأحداث العصر فارتبطوا بها وحاولوا التعبير عنها يدفعهم إلي ذلك تطلع إلي تغيير الواقع، ورفض للظروف التي يعيشها المجتمع، وكذلك رفضوا الرومانسية التي ما زال لها وجود في تلك الفترة، وتمثلت حلقة الوصل بين الاتجاهين الواقعي والرومانسي في ثلاثة شعراء هم: حسين محمد منصور الذي ظهر ديوانه(الشاطئ الصخري) عام 1939م وجعفر حامد البشير نظم ديوانه (حرية وحبال) في الفترة من مايو 1948م إلي 1953م ، ومحمد المهدي المجذوب، الذي بدأ عام 1943م، إذ في هذه السنة نفسها قد انفتح علي مشكلات الجماهير بعض الانفتاح مما يعد إرهاصاً لنزوعه إلي تيار الواقعية فيما بعد ذلك من مراحل تطور شعره[3].

اختلفت الأصول الفكرية للواقعيين في السودان، إلا أنهم متفقون علي ضرورة السعي لتغيير الواقع بعد تصويره وكشف سوءاته، فمن هؤلاء من تأثر بالتيارات الفكرية للمدارس الأدبية السائدة في تلك الفترة، والتي قدمت مع الحركة الثقافية المحيطة بهم فأثرت علي عقولهم، ومنهم من عاش مجتمعه وخبر أحواله فعمل علي تغيير تلك الحال بعد إدراكها وتصويرها مستفيداً من تجاربه وتجارب الآخرين المعاصرين له، أو الذين اطلع علي كتاباتهم، إلا أن تحديد تلك الأصول تحديداً دقيقاً أمر شاق، ولكنها لا تخرج عن التراث والواقع فهم(جيل من الأدباء نهض من خنادق الحرب إلي الشعر بعد الحرب العالمية الثانية، فنظر إلي أدباء المقاومة الفرنسية ثم وصلهم بشئ مما كان يكتب إيلوار ولوركا، وناظم حكمت، وبابلو نيرودا من الشعراء ومن الكتاب مكسيم جوركي)[4] .

مثل الاتجاه الواقعي الوجه الأكثر بروزاً بعد الحرب العالمية الثانية خاصة الواقعية الاشتراكية التي انفتح شعراؤها علي القضايا العالمية، يقول صلاح أحمد إبراهيم في قصيدته للشعب الأسباني :

حريتي تشنق .... وفرحتي تسرق

مدينتي تحرق

الموت من قدام ... وخلفنا أحرق

في الضوء في الظلماء ... في روضة الأطفال

في حرس العمال

في الحقل في الخندق ... منطبق أطبق

وجه السماء ينشق عن لهب أصفر

وفي صباح الغد ... يكتمل المشهد وحشية

المذعور ونشوة

مجلة دراسات العلوم الاسلامية

[1]- المرجع نفسه، ص192

[2]- الاتجاهات الشعرية في السودان، د.محمد لنويهي، مطبعة نهضة مصر، الفجالة،1957م، ص100-101

[3]-تيارات الشعر العربي في السودان ، محمد مصطفى هدارة،ص328

[4]- ديوان يا وطني، صلاح أحمد إبراهيم ، دار أبنوس ، ط1 السودان،2007م ، ص7 .

الشعب في صمت ... وعسكر الموت ... يكنس أفراحه
محاكم التفتيش ... وعربات الجيش، وشهود الزور
القيد والمحضر ... ودمنا المهدر، والأم نواحة[1]

قال الدكتور عبد الهادي الصديق: (جاء تطلع الاشتراكيين سلسلة مترابطة من الوجدان الجماعي، فلم يكن غناء جيلي عبد الرحمن لأطفال حارة عابدين إلا غناء للوطن والعالم بما فيه من أطفال وحارات، وهكذا غني تاج السر الحسن لكفاح شعوب آسيا وأفريقيا وكذلك صلاح أحمد إبراهيم، وكانت تلك بداية انفتاح الشعر السوداني من الداخل علي قضايا العالم الإنسانية)[2].

لم ينس الشعراء الواقعيون قضايا الوطن، فكثير من الشعراء كتبوا عن واقع السودان في تلك الفترة، كما تناولوا قضاياه والتي أصبحت قضايا للشعر الواقعي ويمكن إجمال تلك القضايا في الآتي:

أولاً: القضايا الداخلية:

ومن القضايا الداخلية تصوير المجتمع السوداني فقد صور الشعراء السودانيون الواقعيون المجتمع السوداني، من ذلك تصويرهم الفقر الذي يعيشه السودانيون، وتمثل قصيدة المجذوب (الراحة) والتي يقول فيها:

في حينا الفقير
انظر إليهم في الظلام يحملون
راحة رب القصر والفقير
وبينهم يجرجر البعير
ويجفلون من بحيرة الضياء
ويعثرون في ستائر المساء
ويسترون بينهم فضيحة الألم
وضيعة الحقوق في عدالة القسم
وبينهم يجرجر البعير
ويلعنون خبزهم ويأكلون ويسخرون
مخدرين يدفقون في الطريق
ويضحكون مثلما يختنق الغريق
وبينهم يختلج البعير
أعمي السرى في شارع خرير
قد نسي الحداء والبشام والغدير

ومن الشعراء الذين صوروا الواقع السوداني، وحالة فقر أهله الشاعر محمد المكي إبراهيم، وذلك في قصيدته (قطار الغرب):

وتحولنا عبر الدرجات
عربات شائخة تتأرجح بالركاب
ومقاصير للنوم بها أغراب

[1]- ديوان يا وطني، ص11

[2]- اتجاهات الشعر السوداني المعاصر ، عبد الهادي الصديق، ص11.

الأولي خشخش فيها الصمت
والرابعة العجفاء بها إعياء
ضاعت تذكرة المرأة ذات محط
ورجال يكتبون ورجرجة وضجيج
ومآذن في الأفق المدخون تضيع[1]

القصيدتان السابقتان تحكيان عن واقع عاشه السودانيون، وعكسه الشاعران في أسلوب واقعي لا يخلو من فن قصصي، ذلك الفن الذي برع فيه المجذوب حين صور شخصيات المجتمع خاصة تلك التي تعاني شظف العيش، أمثال بائعة الفول، وماسح الأحذية، والسجين ، والعرافة، والنشال، ففي قصيدته (مشوار) يعقد محمد المهدي المجذوب مقارنة بين الحيين المعروفين في الخرطوم (الحي العربي والحي الأفرنجي) محدثاً عن الفقر:

سهرت(والديم) طبل إذا تهادى يقوم
راياته ليس تخشى لوماً ومن ذا يلوم
جهل وفقر وسكر فيه الغني العديم
فقر لزيم وحبٌّ وأين مني الحبيب؟
ولاحت الخرطوم وجاء منها النسيم
أفوز منه بود علي حيناً يحوم
برفع الأفق منها نخل رشيق وسيم
(حي الفرنجة) حي وكم تموت الديوم[2]

وقد آمن الشعراء الواقعيون بدور الشعر في التعبير عن آمال الشعب وواقعه، وإحساسهم تجاه الطبقات المحرومة، فالشعراء الواقعيون (يطرحون مزايا جديدة مستمدة من الإمكانات المحلية، والتي تشير إلي وعيهم بهذا الأصل، ومن هذا المفهوم جاء شعر صلاح أحمد إبراهيم وجيلي عبد الرحمن وتاج السر الحسن، ومحي الدين فارس، والفيتوري)[3] و يضاف إليهم المجذوب الذي تظهر واقعيته في شعره السياسي والاجتماعي.

ثورة أكتوبر:

كانت الأوضاع بالبلاد تنبئ بالثورة لما لحق بالبلاد من حكم العسكر فها هو الشاعر محمد عثمان كجراي يبشر بالثورة ويدعو لها فقال:

عيونهم مصلوبة الأحداق تمعن في الفرار
ترتاد أودية السراب
تلوذ بالوهم المخنط في تراث الغابرين
ويهز أعماق الجذور
ويلقح الأرض الندية بالبراعم والبذور

[1]- ديوان أمتي، محمد المكي إبراهيم،،دار جامعة الخرطوم للنشر1984م، ص31.
[2]- الشعر في السودان ، د.عبده بدوي، ص194
[3]- الاتجاه الأفريقي في الشعر السوداني، حسن صالح حسن،ط1، 2002م ، ص79

ويمزقون أكفانهم
تلك التي اهترأت نسيجاً من دماء
أترى سينتفض الرماد؟[1]

ولما قامت ثورة أكتوبر 1964م تغني الشعراء بها، ونظموا أشعاراً عرفت بالأكتوبريات تغنت تلك القصائد بانتصار الإرادة الشعبية، من ذلك قصيدة للشاعر محمد محمد علي قال فيها:

ثورة الشعب ضياء وحداء وغناء لا يمل
حطمت قيداً وأحيت أنفساً وبنت للمجد صرحاً كالجبل
وارتقت للنجم في عليائه وانتقت منه وضيئات الشعل[2]

وانفعل بثورة أكتوبر عدد من الشعراء الشباب، خاصة شعراء مدرسة الغابة والصحراء ومن هؤلاء محمد المكي إبراهيم الذي كتب خمسة أناشيد، تحدث في النشيد الأول عن الجيل الجديد من المثقفين من جيل الستينيات المتأثرين بالاتجاه الواقعي الاشتراكي المنحازين إلي الفكر التقدمي، فهم الذين يقودون الشعب إلى النصر، يقول محمد المكي إبراهيم:

من غيرنا يعطي لهذا الشعب معنى أن يعيش وينتصر
من غيرنا ليقرر التاريخ والقيم الجديدة والسير
من غيرنا لصيانة الدنيا وتركيب الحياة القادمة
جيل العطاء المستجيش ضراوة ومصادمة
المستميت علي المبادئ مؤمناً
المشرئب إلي النجوم لينتقي صدر السماء لشعبنا
جيلي أنا[3]

فالواقعية الاشتراكية تلزم شاعرها بلعب دوره الاجتماعي في التعبير عن طبقات المجتمع الضعيفة والكادحة، وأن يتقمص روح الطبقة العاملة ليستطيع رؤية آلامها وآمالها وهواجسها، وهذا لا يتأتى إلا بالممارسة العلمية واليومية لنضال الأمة، يقول الفيتوري واصفاً الشاعر الملتزم: (إنه متحد اتحاداً كلياً مع قضايا شعبه وقادر علي التعبير عنها فنياً)[4] .

من الشعراء الذين كتبوا لأكتوبر،محمد مفتاح الفيتوري، الذي أهدي ديوانه(اذكريني يا أفريقيا) إلى شهداء أكتوبر، كما كتب قصيدتين عن أكتوبر هما (رسالة إلى الخرطوم) بتاريخ 1964/10/24م (واكتبه حول الشمس)، وكتب صلاح أحمد إبراهيم عدداً من القصائد لأكتوبر منها: (هات لي بوقي)و(دماء في الخرطوم)و(في المشرحة) و(نداء الثأر) و(الدرس البليغ) و (دمبيور) و (صوت من العدم) و (المجد للشعب).

وكتب تاج السر الحسن قصيدتين لأكتوبر، يقول في مطلع قصيدته (من البعيد) وكان وقتها في موسكو بتاريخ 1966/1/1م:

سلاماً يارؤى وطني البعيد،
وياطيوف الغاب،
سلاماً تنضب الصحراء ممتد على الأحقاب

---

[1]- ديوان الصمت والرماد، محمد عثمان صالح كجراي،، دار البلد،2003م، ص16

[2]- ديوان ظلال شاردة، محمد محمد علي، دار جامعة الخرطوم للنشر، ط2،1976م، ص22

[3]- ديوان أمتي، محمد المكي إبراهيم، ص165

[4]- ، الأعمال الكاملة ، الفيتوري ، دار العودة بيروت،1979م، ص160

وفيها:

لقد مرت مرور الضيف

رؤى أكتوبر الحمراء كانت في دياري طيف[1]

ويقول في مطلع قصيدته الثانية (أكتوبر):

فلتتفجر ياقلبي نورا

أشرق أملاً وسروراً

أكتوبر كان صباحاً مد ظلال الأضواء

في عالمنا هذا الجاثي في عتمات الظلماء

أكتوبر عدت كما انطبعت في البحر تصاوير حمامه

غصن الزيتون علي المنقار وأطياف حياة وسلامه[2]

ومهما يكن من شيء فقد حركت الهزة الأكتوبرية كل الجبهات، وأعطت للكثيرين الفرصة أن يفرحوا، علي أن الذين عبروا عنها بعمق هم أولئك الواقعيون الذين عاشوا التجربة، فقد تفوقوا علي التقليديين والوجدانيين في الداخل، وتفوقوا في الوقت نفسه علي الواقعيين الاشتراكيين الذين كانوا يعيشون في الخارج أمثال تاج السر الحسن [3].

والملاحظ أن شعراء أكتوبر كانت لغتهم خطابية، وهي تناسب الموقف، إذ كان همهم إيقاظ الشعور والمشاركة في الثورة، فجاءت المفردات الشعرية تحمل معني الثورة والأمل والتحدي، كما تصور انفعال الشاعر بالأحداث وصدقه في تصويرها، وهذا يعني أن الشاعر قد نجح في ضم صوته إلي أصوات مجتمعه.

قضية الهوية :

وهي قضية أكثر أصحابها الحديث عنها ، وهم أصحاب الاتجاه الأفريقي في الشعر السوداني، فقد اجتهد أصحاب هذا الاتجاه في تحديد الهوية والانتماء من خلال الأدب، وذلك باستهداف وجدان جمهور القراء لتوحي إليه من خلال الأشكال الأدبية أن يجد الشجاعة الكافية ليعترف بذاته الحقيقية ويحسها، ويحب شركاءه في الدم والوطن ذلك يعني الاعتراف بأفريقية السودان وعروبته[4]، وقضية الشخصية والهوية السودانية طرحها الشاعر صلاح أحمد إبراهيم في قوله:

العربي صاحب السوط المشل للجمال

شكَّال قارح ملاعب السيوف و الحراب

حلَّ علي بادية السودان كالخريف بالسنة والكتاب

تفتحت حقيقة سمراء في أحشاء كل أم ولد منهن

من بنات جدك الأكبر من بذرته نطفة الأعراب

خرَّب سوبا وأقام على أنقاضها سنار

والأخرى التي سوارها تيراب

---

[1]-القلب الأخضر تاج السر الحسن، دار الجيل ، بيروت1411هـ/1991م،ص30.

[2]- المرجع نفسه، ص28-30

[3]- الشعر في السودان، عبده بدوي، ص251

[4]- في ذكرى الغابة والصحراء، محمد المكي، مركز عبد الكريم ميرغني، ط1،2006،م، ص12

حمل في رحاله طموحه ولوحه وتمرتين في جراب
و شجر الأنساب[1]

– والقصيدة تلخص قضية الهوية بوعي ووضوح وفهم كامل للبعد التاريخي والثقافي والحضاري لهذا الامتزاج الذي أوجد الشخصية السودانية التي تنتمي إلي العرقين العربي والأفريقي وهذا ما ذهب إليه محمد المكي إبراهيم في قصيدته أمتي:

الليلة أفريقيا
فتحت درباً؛ أخذتني بالأحضان
هذا مجد الإنسان[2]

وتمثل قصيدة محمد عبد الحي (العودة إلي سنار) العودة إلي الجذور؛ إذ جعل من سنار نقطة انطلاق للشخصية السودانية ومعلماً بارزاً ومميزاً لتلك الشخصية، وهي بمثابة الدليل والمرشد الذي نبه المثقفين السودانيين إلي ضرورة البحث عن جذور الثقافة السودانية وتحسس أصولها ، وهي تعبير عن ذلك الواقع الذي أوجد أمة أخذت من العرب دينها وثقافتها، ومن الزنج سحنتها وجذورها، وفيها تعايش الكتاب مع الرمح، والجواد العربي الأصيل مع الفهد الأفريقي[3] .

يقول الدكتور محمد عبد الحي في جزء من قصيدته (العودة إلي سنار)

سنار
تسفر في
بلاد الصحو جرحاً أزرقاً
قوساً حصاناً
أسود الأعراف– فهداً قافزاً في عتمة الدم
معدناً في الشمس مئذنة
تجوفاً في عظام الصخر– رمحاً فوق مقبرة

وقال أيضاً :

من كانم وتمبكتو وفاس
زنوج وأندلسيون
من لامو وزنجبار
من عيذاب والحجاز واليمن
من الفسطاط و البحرين
بدو، أوربيون، أثيوبيون وأثيوبيات
ورجال بجباه مفعمة بالذهب والنخيل[4] .

مجلة دراسات العلوم الاسلامية

[1]– غابة الأبنوس ، صلاح أحمد إبراهيم ، دار الثقافة، بيروت ب.ت،ص16

[2]– ديوان أمتي، محمد المكي إبراهيم، دار جامعة الخرطوم للنشر1976م، ص131.

[3]– ديوان العودة إلي سنار ، محمد عبد الحي، دار جامعة الخرطوم للنشر، ب ت ،ص36

[4]– ديوان حديقة الورد الأخيرة، محمد عبد الحي، محمد، دار الثقافة للنشر، ط1، 1984م، ص37

– ولعل المفردات التي رسمت الصور الشعرية في القصيدة ترمز لمفهوم الجذور التي كونت الشخصية السودانية هو ما هدفت إليه مدرسة الغابة والصحراء في بحثها عن الأصول الحقيقية للثقافة السودانية، وفي محاولتها لتمييز الشخصية السودانية وفي ذلك قال محمد المكي إبراهيم في قصيدته(غمائم):

هذا عصير الشمس فوق جبهتي
هذا كساء أمتي
هذا أنا وقبل عامين كنته
وبعد ألف عام أكونه
حتى إذا أبيته أصونه
كفوا عن البذاء والرياء هكذا أنا
لن تسلخوا كساء أمتي
هذا الكساء دمعتي
الآن أستطيع أن أراه[1]

والقصيدة اعتراف صريح بالعرق الأفريقي، ودعوة للاعتراف بتلك الحقيقة التي يهرب منها الذين جعلوا العروبة أصلاً ومنبعاً خالصاً للهوية السودانية.

المبحث الثالث:القضايا الخارجية

أولاً: القضايا العربية

كانت ومازالت القضية الفلسطينية أهم القضايا التي شغلت بال العرب والمسلمين في العصر الحديث، ومن ثم أخذت مكانة كبيرة في الشعر العربي في العصر الحديث، ولما وقعت حرب النكسة و وتبعتها هزيمة إسرائيل للعرب في العام 1967م كان لها وقع أليم في نفوس العرب والمسلمين لأن انتصار اليهود واحتلالهم لسيناء والجولان إضافة لفلسطين قد أثار المشاعر الشعراء ولم يكن شعراء السودان بمعزل منهم، فهاهو الشاعرمحمد عثمان كجرايقول:

أعود يا وطن النجوم، غداً سأخترق الجدار
(يافا) أعود إليك في وضح النهار
ظمآن إليك فراشة للعطر يدفعها الحنين
فتظل تلهث في دروب الشمس تبحث
عن شفاه الباسمين
فوق الروابي الخضر في وطني الحزين
سأعود مرفوع الجبين[2]

– وقال الهادي آدم بعد حرب حزيران ومحرضاً علي رد العدوان، مستلهماً فيها مافي القادة المسلمين السابقين:

الحرب كرٌّ إن خسرت بها يوماً فما خسرت كفَّاك باقيها
هذي جنودك فاضرب حيث شئت بها شرقاً وغرباً تجد صماً عواليها

[1]– ديوان أمتي، ص16

[2]– ديوان الليل عبر غابة النيون كجراي، محمد عثمان صالح، دار عزة، ط2،2003م، ص 128

تقود أمة مجد ساء حاضرها وساد في أمم التاريخ ماضيها
سائل بها خالداً والجيش يكنفه يموج في أرضهم من كبره تيها
وادع (المثنى) أخو الهبات يجلوها إن أظلمت وتمطت في دياجيها[1]

والقصيدة طويلة، وأسلوبها يجمع بين استخدام الرمزِ والاستفهام وأسلوبها خطابي وتقريري يناسب غرضها إذ كان همُّ الشاعر بث روح المقاومة وعدم الاستسلام للهزيمة والعمل علي رد الكرامة.

ولما كان العدوان الثلاثي قال الشاعر الحسين الحسن قصيدة حيَّ فيها مدينة بورسعيد:

يموج بقلبي شوق شديد
إلى طرقاتك
يابورسعيد
إلى حيث في كل شبر هناك
دماء شهيد
إلى أهلك الصامدين العتاة
وهم يرسمون طريق الخلود

ثالثاً: القضايا الأفريقية

لم يكن الشعر السوداني في هذه الفترة بمعزل عن القضايا الأفريقية بل وقف الشعر السوداني مناصراً لقضايا القارة الأفريقية ، من ذلك لما قتل مناضل الكنغو المشهور لومبا قال جيلي عبد الرحمن في قصيدته (خمس أغنيات إلى لومبا) :

وردة حمراء كقلبك
أرعشتها الريح في مُوحل دربك
مثل خدّ الشمس ذابت فوق أنفاس المروج
فتفاءلت وغنت لشعبك
ياعيون الطير يا أرض الزنوج[2]

ويقول كجراي في قصيدته (بقية الحوار):

يا سيدي سيزار
عن اشتعال الغضب الأسود في نامبيا
وعن تألق الصباح
عن بقية الجراح
في أفريقيا
على كل وجهٍ أبيض تقوده إرادة منهزمة
مرتعدة
قد تسقط القناع عن يهوذا

[1]- الأعمال الكاملة ، الهادي آدم ، دمشق، ط1،2003م ، ص361

[2]-ديوان الجواد والسيف المكسور، جيلي عبد الرحمن،دار البلد،ط1،1998م،ص90

معذرة فقد ضرج العارُ وجه الأمم المتحدة[1]

وفي رثاء لومبا قال الشاعر طيفور بابكر الدقوني:

أيها البطل الرابض في بطن الثرى

أيها النابض في قلب الورى

أيها القديس مصباح السرى

لم تساوم بالرخيص المشترى[2]

الخاتمة :

كانت هذه الدراسة عن قضايا الشعر الواقعي في الشعر السوداني، ومن نتائجها:

* أن الواقعية مثلت تياراً قوياً من تيارات الشعر في السودان.

* الظروف التي هيأت لبروز التيار الواقعي في الشعر السوداني تشابهت بالظروف التي نشأ فيها هذا الاتجاه في العالم.

* شعراء الواقعية الاشتراكية كانوا أكثر تعبيراً عن الواقع من غيرهم.

* تناول الواقعيون في أشعارهم قضايا كبرى كان أهمها قضية الهوية.

* شعراء الواقعية أكثر شعراً من غيرهم في التعبير عن الأفريقية.

عبر الشعراء الواقعيون في السودان عن قضايا الأمة العربية وخاصة القضية الفلسطينية.

وبما أن الواقعية مثلت مرحلة من تاريخ الأدب السوداني، وهي اتجاه يعتمد الالتزام شرطاً، نتمنى أن يأتي من يبحث في مدى التزام أولئك الشعراء بالمذهب الواقعي، كما نتمنى أن يأتي من يبحث ويتناول قضايا الشعر الواقعي بصورة أوسع.

المصادر والمراجع :

1- الاتجاه الأفريقي في الشعر السوداني، حسن صالح حسن ،ط1، 2002م.

2- اتجاهات الشعر السوداني المعاصر ، عبد الهادي الصديق، دار جامعة الخرطوم للنشر، مارس 1995م.

3- الاتجاهات الشعرية في السودان، د.محمد النويهي، مطبعة نهضة مصر، الفجالة،1957م.

4- أصول الشعر السوداني، ، عبد الهادي الصديق ، 1994م دار جامعة الخرطوم، ط2.

5- الأعمال الكاملة ، الفيتوري ، دار العودة بيروت، 1979م.

6- الأعمال الكاملة ، الهادي آدم ، دمشق، ط2003،1م.

7- تيارات الشعر العربي في السودان ، محمد مصطفى هدارة ، دار الثقافة – بيروت لبنان، 1972م.

8- الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم) حنا الفاخوري ، دار الجيل بيروت، ب ت ، ط3.

9- جريدة الصحافة د. سعد عبد القادر العاقب ، العدد 547 ، 2008/9/16م.

10- ديوان أمتي، محمد المكي إبراهيم،، دار جامعة الخرطوم للنشر1984م.

11- ديوان أمتي، محمد المكي إبراهيم، دار جامعة الخرطوم للنشر1976م.

[1]- ديوان الليل عبر غابة النيون، كجراي، ص53

[2]- شعر طيفور بابكر الدقوني-د. الضو إبراهيم الضو-السودان -أم درمان- الطبعة الأولى- ص119

12- ديوان الجواد والسيف المكسور، جيلي عبد الرحمن،دار البلد،ط1،1998م.
13- ديوان حديقة الورد الأخيرة، محمد عبد الحي محمد، دار الثقافة للنشر، ط1، 1984م.
14- ديوان الصمت والرماد، محمد عثمان صالح كجراي،، دار البلد،2003م.
15- ديوان ظلال شاردة، محمد محمد علي، دار جامعة الخرطوم للنشر، ط2،1976م.
16- ديوان العودة إلي سنار ، محمد عبد الحي، دار جامعة الخرطوم للنشر، ب ت.
17- ديوان الليل عبر غابة النيون محمد عثمان صالح كجراي، دار عزة، ط2،2003م.
18- ديوان يا وطني، صلاح أحمد إبراهيم ، دار أبنوس ، ط1 السودان،2007م.
19- الشعر في السودان ، عبده بدوي ، المجلس القومي ، للثقافة والأدب والفنون 1986م.
20- غابة الأبنوس ، صلاح أحمد إبراهيم ، دار الثقافة، بيروت ب.ت.
21- في تاريخ الأدب العربي ، محمد أحمد ربيع، 2006، دار الفكر ، ط.12
22- في ذكري الغابة والصحراء، محمد المكي إبراهيم، مركز عبد الكريم ميرغني، ط1،2006م.
23- القلب الأخضر تاج السر الحسن، دار الجيل ، بيروت1411هـ/1991م.
24- مجلة العربي – العدد541 ديسمبر2003م .
25- مجلة العربي – العدد 590- يناير 2008م .
26- مفاهيم نقدية رينيه ويليك ، ترجمة الدكتورمحمد عصفور، عالم المعرفة 1987م.
27- منهج الواقعية في الإبداع الأدبي صلاح فضل، دار الأوقاف ، بيروت، ب ت.
28- الواقعية ، ديمير كرانت ، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة، دار الرشيد، بغداد ب ت.
29-شعرطيفوربابكرالدقوني-د. الضوإبراهيمالضو-السودان -أمدرمان- الطبعةالأولى.

مجلة دراسات العلوم الاسلامية